الكفيف – المفتح

■■■

– ساعدوا أخوكم عاجز النظر.. ساعدوا الكفيف علشان خاطر الحبيب النبي (عليه أفضل الصلاة والسلام).. صدقوني:

– «أنا غصب عني مدِّيت لكم إيدي.. ما هو أنا لو كنت باشوف، كنت اشتغلت أي شُغلانة.. الشغل مش عيب أبدا.. أيوه الشغل مش عيب والله.. بس للي يلاقي شغل يناسب ظروف كفيف النظر زي حالاتي».

بتلك الكلمات.. دخل أربعيني ممتلئ الجسم عربة المترو، يرتدي نظارة سوداء، يمسك بعصا ترشده عن كل خطوة يخطوها.

عدد لابأس به من ركاب خط العتبة – العباسية تعاطفوا معه، ومنحه كل منهم ما يستطيع من المال، إلا سيدة أربعينية يبدو على ملامحها وملابسها أنها «بنت بلد»؛ كما نطلق ذلك على السيدات الفضليات صاحبات المواقف التي تستحق الثناء.

بصوت مرتفع ونبرة سخرية وسخط في آن واحد، قالت السيدة للكفيف:

– أظن عيب عليك أوي لما تبقى رجل مفتح، ولديك القدرة غير العادية على العمل؛ ثم تتقمص دور الكفيف وتدعي المرض؛ مع إني شايفاك والله من يومين خارج من محطة المنيب بدون عصاك هذه؛ بأمارة ما كنت بتعد الفلوس اللي جمعتها من أساليبك الـ «.....» طول اليوم، صح يا كفيف يا مفتح ولا أنا غلطانة؟!

يتلعثم الرجل بعد أن كشفت السيدة أمره، وبسرعة البرق، وحضور ذهني متقد، ونظرات حائرة من خلف نظارته، وكلمات مبعثرة؛ يحاول الهرب من الموقف، فيقول للسيدة:

- هو حضرتك بتكلميني يا افندم، ولا واضح إن فيه سوء تفاهم؟؟

يزيد غضب السيدة ونقدها للمتمارض، وتضطر أن تفتح عليه النار بعدما تجاهل ردها، فتقول:

- يظهر إني هاستدعي شرطة المترو للقبض عليك بتهمة «..... و.....و.....».

لم يستطع الرجل أن يصمد أمام شراسة السيدة، وفي أول محطة، قفز من العربة بانسيابية تامة كلاعب جمباز، تاركا عصاه؛ حتى لا يتم القبض عليه!!

رد فعل الركاب جاء بمستوى الموقف، فمنهم من ظل يضحك ويشكر السيدة على جرأتها وكشفها لأساليب مثل هذه النوعية من الناس، ومنهم من أطلق النكات «البايخة»، وقلة أخرى وجهوا نقدهم للسيدة على فضحها وكشفها ستر الكفيف حتى لو كان بصيرا.

لحظتها اضطرت السيدة أن تستدعي حديثا نسبته للرسول (صلى الله عليه وسلم) ردا على منتقديها، فقالت:

- مع احترامي وتقديري لرأيكم جميعا، فأنا مضطرة أن أذكركم بالحديث النبوي الشريف الذي يقول: «لا تتمارضوا، فتمرضوا، فتموتوا».. انتهى.